

إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الثالثة عشرة - العدد التاسع والأربعون - ربيع ١٤٠٢ش / آذار ٢٠٢٣م

صص ١٠٧ - ١٣٢

دراسة مناهج توظيف الأساطير في شعر فوزية أبي خالد

مسلم خزلي (الكاتب المسؤول)*

مينا پيرزادنيا**

الملخص

تعتبر الأساطير الذاكرة التاريخية للبشرية، والتي تحتوى على العديد من المكونات الثقافية والاجتماعية والأيدولوجية لمختلف الدول. وبما أن الأساطير ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأدب، فهي أداة مناسبة لدى الشاعر يعطى باستخدامها لونا رمزياً على قصيدته ونقل موضوعه إلى الجمهور بلغة مخفية وأدبية. فوزية أبوخالد من الشعراء المبتكرين في الأدب العربي، ولديها، بسبب دراساتها المكثفة في المصادر غير العربية، الكثير من المعلومات عن تاريخ وثقافة البلدان الأسطورية الأخرى، وبمهارتها وإبداعها تستخدم جميع الأنواع من الأساطير لخلق أسلوب أدبي متميز وجديد في شعرها. تحاول هذه الدراسة استقصاء أساليب استحضار الأساطير في شعر أبي خالد بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وتقديم معلومات إحصائية تبين مدى استخدام الأساطير في شعر هذه الشاعرة. بناءً على ما توصل إليه البحث، استخدمت أبوخالد ثلاثة طرق من أجل توظيف الأساطير في شعرها: تكرار السرد، وتغيير السرد، وإعادة تكوين الأسطورة، ومن خلال الجمع بين التقليد والحداثة، فقد خطت خطوة كبيرة نحو التحديث وإبداع لغتها الشعرية المميزة وبهذا الأسلوب تعبر عن أفكارها حول قضايا العالم العربي ومكانة المرأة ومفاهيم مثل الحب والوطنية والحرية.

الكلمات الدليلية: الأسطورة، توظيف الأساطير، الأدب العربي، الشعر العربي المعاصر، فوزية أبوخالد.

** دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة إيلام، إيلام، إيران

moslem_khezeli@yahoo.com

** أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة إيلام، إيلام، إيران

تاريخ القبول: ١٤٤٤/٠٨/٢٩ق

تاريخ الاستلام: ١٤٤٤/٠٥/٢٨ق

المقدمة

من سمات الشعر المعاصر الجمع بين التقليد والحداثة، وتعتبر الأساطير من أبرز مكونات التقليد. ابتكر شعراء الحداثة المعاصرون لغة شعرية جديدة ومميزة من خلال استدعاء الشخصيات القديمة والأساطير من مختلف الثقافات. ترتبط الأسطورة ارتباطاً وثيقاً لا ينفصم بالأدب وكانت مصدر إلهام شعري للعديد من الشعراء. «ترتبط الأسطورة ارتباطاً وثيقاً بمجال الأدب والسرد ورواية القصص لأنها قصة وحدث». (كهنوميبيور، ١٣٨٣ش: ١٨٦) علم الأساطير والأدب مجالان مترابطان، ويعتبر الشعر أفضل نوع من الأدب للاستخدام الفنى للأساطير. بعد المراحل الأولى من الحداثة، أدرك الشاعر العربي المعاصر ضرورة التراث القديم وتحول إلى استحضار الأساطير في شعره لخلق أعمال أدبية مميزة. «يعود استخدام الأسطورة في الشعر العربي المعاصر إلى بداية القرن العشرين. ذكر جبران خليل جبران أسطورة أدونيس وعشتار في كتاب "دمعة وابتسامة"، ونسيب عريضة في قصيدة "نار إرم" من أسطورة "إرم ذات العماد"، وذكر العقاد وأبو شادي الأساطير في قصائدهم». (حرب، ١٩٩٩م: ٢٣) بالطبع، كان هؤلاء الشعراء راضين في الغالب عن مجرد ذكر أسماء هذه الأساطير ولم يحاولوا تكييف معنى هذه الأساطير مع موضوعاتهم الشعرية. تحولت الأجيال القادمة من الشعراء العرب الحديثين، من خلال دراسة أعمال الغرب والثقافات الأخرى والتعرف على تدفق الحداثة وما بعد الحداثة، إلى أسلوب جديد في استخدام الأساطير. «إن جيل الشعراء المعروفين باسم تموزيين، ومنهم أدونيس، وجبرا، والسياب، والخال، مالوا إلى استدعاء الأساطير في شعرهم بنهج مختلف عن الجيل السابق، لكنه مع ذلك كان يوسف الخال أول شاعر استخدم الأسطورة في الشعر بالمعنى الدقيق للكلمة وبطرق مختلفة جعلها الموضوع الرئيسي لشعره». (جدة، ١٩٨٠م: ٢٣١) لذلك، فإن استخدام الأسطورة في الشعر العربي المعاصر قد مر بمراحل مختلفة. «فوزية أبوخالد من أشهر شعراء الأدب العربي، وهي جزء من الجيل الثاني لشعراء السعودية الحديثين، وأقبلت منذ بداية نشاطها الأدبي إلى الشعر الأبيض وقصائد النثر. دخلت فوزية أبوخالد في تيار الحداثة في الشعر بإصدار أول كتاب لها في الشعر عام ١٩٧٣م وهي في الثامنة عشرة». (مجلى،

٢٠٠٥م: ١٩) أبوخالد شاعرة لديها معرفة عامة عالية و«عاشت ودرست في أمريكا لفترة. درست في الجامعة الأمريكية في بيروت وحصلت على الدكتوراه في مجال دراسات المرأة والخطاب السياسي من جامعة سالفورد لمانشستر.» (سيفى و الآخرون، ١٣٩٥ش: ٨) نظرًا لوجهة نظرها العالمية حول قضية المرأة، فقد درست أعمال الثقافات واللغات الأخرى، ومن خلال هذه الدراسات، أولت اهتمامًا خاصًا للتاريخ القديم للأمم الأخرى وأساطيرها. نتيجة لذلك، وإدراكًا لضرورة استخدام التراث الأدبي والتاريخي القديم في عملية تحديث الشعر، فقد ألقت نظرة خاصة على الأساطير العربية القديمة والثقافات الأخرى في شعرها. يعتبر توظيف الأساطير من السمات البارزة في الشعر الحديث، كما يستخدم الشعراء العرب طرقًا مختلفة للتعبير عن الأساطير وفقًا للعالم المعاصر وخلق أسلوبهم الخاص في التعبير من خلال استدعاء الشخصيات الأسطورية. فوزية أبوخالد شاعرة مبتكرة تستخدم في قصائدها أساطير الشعوب والثقافات المختلفة وبعبريتها الشعرية، تحمل معنى جديدًا لهذه الأساطير وتخلق لغة شعرية مميزة. هي إحدى الشخصيات الأدبية البارزة في العالم العربي، والتي جعلتها وجهات نظرها الجريئة حول المرأة وحريتها في دائرة الضوء. حدثته واهتمامه بتاريخ وثقافة ومعتقدات البلدان الأخرى يضع شعره ضمن الأدب العالمي ودراسة أشعارها تساعد على فهم الثقافة والعادات العربية والإسلامية، وكذلك التاريخ القديم للبلدان الأخرى وأساطيرها، وتقدم النموذج الأنثوي المسلم الناجح والمستيقظ والمجتهد للعالم.

أهداف البحث

تحاول الدراسة الحالية البحث في انعكاس جميع أنواع الأساطير في شعر أبي خالد واستعراض مناهج استخدام الأساطير في شعرها ودراسة أغراضها من استخدام هذه الأساطير وبفضل عبقريته الشعرية، يحمل معنى جديدًا لهذه الأساطير ويخلق لغة شعرية مميزة.

أسئلة البحث

يحاول هذا البحث أن يجيب عن هذه الأسئلة إجابة مناسبة:

١. ما هي الأدوات والاستراتيجيات التي استخدمتها فوزية أبوخالد في شعرها لتوظيف الأسطورة ؟
٢. ما هي أنواع الأساطير التي استخدمتها في شعرها؟
٣. ما هو الدور الذي لعب استخدام هذه الأساطير في عملية تحديث شعرها؟

فرضيات البحث

١. استخدمت أبوخالد من الاستراتيجيات الثلاث في هذا البحث هي تكرر السرد وتغيير السرد وإعادة تكوين الأسطورة ولقد استخدمت الصناعات البلاغية مثل التشبيه والاستعارة والتلميح وما إلى ذلك لإنشاء الأسطورة.
٢. تنعكس الأساطير الدينية والأساطير الأدبية وأساطير الثقافات غير العربية بما في ذلك الأساطير اليونانية والإيرانية والمصرية والآشورية والعربية قبل الإسلام وبعده في شعر أبي خالد، الأساطير الدينية هي الأكثر انعكاساً في شعرها.
٣. ابتكرت أبوخالد لغة شعرية مميزة ورمزية بمساعدة الأساطير، وعلى عكس الشعر القديم، عبر عن موضوعاته الشعرية بلغة كنائية وغير مباشرة، ومن خلال الجمع بين الأساطير القديمة والموضوعات الشعرية الجديدة، جعلت شعرها جديداً ومميزاً في مصطلحات المعنى والمفردات.

خلفية البحث

تم إجراء العديد من الأبحاث حول الأسطورة، ولم يتم ذكر الأبحاث سوى تلك التي تتعلق بموضوع هذه المقالة. مقالة: «أساليب استدعاء الشخصيات التراثية والتعبير عن دلالاتها في شعر أمل دنقل» (١٣٩١ش)، يبحث نجفي ايوكي في أساليب توظيف الأساطير في شعر أمل دنقل وينتقد استخدام جميع أنواع الأساطير في شعر هذا الشاعر. مقالة: «أسطورة زرقاء اليمامة في شعر عز الدين المناصرة وأمل دنقل (مقارنة بين إبداع شاعرين في خلق المضامين في شعر المقاومة)» (١٣٩١ش) قام همتي وزملاؤه بالتحقيق في انعكاس أسطورة زرقاء اليمامة في شعر هذين الشعارين

ومدى ابتكاراتهما في استخدام هذه الأساطير في مضامينها للمقاومة. مقالة: «مفهوم أسطورة سيزيف في الشعر العراقي والإيراني المعاصر - دراسة قصيدة "رسالة القبر" لبدر شاكر السياب وقصيدة "نقش" لمهدي أخوان الثالث» (٢٠١٣م). يتناول زمردى في هذا البحث الدراسة المقارنة لأسطورة سيزيف في شعر هذين الشعارين وينقد الإبداع والتجديد الذي استخدمه هذان الشاعران في إعادة تكوين هذه الأسطورة. مقالة: «جوهر الأسطورة الإيرانية لشهرزاد في مسرحية شهرزاد لتوفيق الحكيم» (١٣٩٢ش). يستكشف نوبن وميرزائي الجذور الإيرانية للطابع الأسطوري لشهرزاد في هذه المسرحية ويظهران إبداع الحكيم في الاستنساخ من هذه الأسطورة. مقالة: «إعادة تكوين أسطورة جلجامش في شعر عبد الوهاب البياتي» (١٣٩٦ش). نجفى ايوكى وحاجى قربانى يدرسان انعكاس أسطورة جلجامش في شعر هذا الشاعر ويعبر عن التغييرات التي أحدثها هذا الشاعر في رواية أسطورة جلجامش في شعره. مقالة: «طائر الموت والانبعاث في شعر نيما والسياب؛ دراسة مقارنة حول قصيدتى ققنوس، والقصيدة والعنقاء» (١٣٩٦ش). استناداً إلى أطر الأدب المقارن، يصور بشيرى انعكاس أسطورة فينيكس وعنقاء في شعر هذين الشعارين ويظهر أوجه التشابه والاختلاف بين هذه الأساطير. مقالة: «دراسة مناهج توظيف الأساطير في قصائد حسين منزوى الغنائية، بالاعتماد على الفكر الرومانسى» (١٣٩٧ش). يقدم بيروز وكجورى طرقاتاً مختلفة لتوظيف الأساطير ويدرسان انعكاس هذه الأساليب في شعر منزوى. تم إجراء القليل من الأبحاث حول شعر فوزية أبي خالد وما ظل شعر هذه الشاعرة الشهيرة غير معروف. ومن بين هذه الأبحاث: ١- رسالة ماجستير بعنوان «دراسة مقارنة لأفكار فوزية أبي خالد وفروغ فرخزاد من الرومانسية الفردية إلى الرومانسية الاجتماعية» (١٣٩٧ش). يقارن آقازاده قيه باشى بناءً على إطار الأدب المقارن، بين مكونات الرومانسية الفردية والاجتماعية في شعر هاتين الشاعرتين ويفحص أطوارهما الشعرية المختلفة. ٢- مقالة: «صورة المرأة من رؤية فوزية أبي خالد، شاعرة عربية معاصرة» (١٣٩٥ش)، سيفى وجعفرى نجادى ينتقدان المقاربة النسوية لأبى خالد في شعرها ويظهران مدى اهتمامها بالمرأة والقضايا المتعلقة بها.

الفارق الأساسي بين هذا البحث والأبحاث الأخرى هو أن المقالات السابقة إما بحثت في الأسطورة في شعر شعراء عرب أو إيرانيين آخرين أو أنها ذكرت موضوعات أخرى مثل المرأة والرومانسية في شعر أبي خالد، وهذه المقالة هي أول بحث مستقل قد عرض على وجه التحديد طرق توظيف الأساطير في شعر أبي خالد.

منهجية البحث

تم إجراء هذا البحث بطريقة وصفية وتحليلية وركز فيه على مصادر المكتبة. أولاً، من خلال توفير بيانات إحصائية دقيقة، شرح وبين تواتر استدعاء أنواع الأساطير في قصائد أبي خالد، وبعد ذلك، من خلال ذكر الأنموذج الشعري، تم بحث واستعراض جميع أنواع طرق توظيف الأساطير في قصائد أبي خالد.

الأسطورة وطرق استخدامها في الشعر

تأرجح مفهوم الأسطورة على مر التاريخ وتم تقديم العديد من التعريفات لها. «الأسطورة ليست نوعاً من القصص الخيالية، ولكنها حقيقة حية وحاضرة، على الرغم من أنها تنتمي إلى أقدم العصور، إلا أنها لا تزال تؤثر على عالم الأقدار البشرية.» (استروس، ١٣٧٧ش: ٩) بالإضافة إلى القيمة التاريخية، تعتبر الأساطير أيضاً ذات قيمة ثقافية «وتمثل الأسطورة في حد ذاتها رصيذاً معرفياً، وإن يكن غير منطقي في الآن نفسه، لكن الفرد يمكن أن يستعيده. وتكمن قيمة الأسطورة الرئيسة بوصفها رصيذاً معرفياً ثقافياً معقداً.» (زكي، ١٩٧٥م: ٢٣٧) بشكل عام، تعتبر الأساطير صورة شاملة لحياة الإنسان «إن الأسطورة هي حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان.» (السواح، ٢٠٠١م: ١٤) الأساطير حقيقية وعلى مر الزمن، ظهرت الخرافات حولهم ووضعتهم في حالة بين الواقع والخيال. «الأسطورة تروى تاريخاً مقدساً، تروى حدثاً جرى في الزمن البدئي، الزمن الخيالي، هو زمن البدايات.» (إلياد، ١٩٩١م: ١٠) كما أن للأساطير انعكاس واسع في الشعر، ويستخدمها الشاعر في شكل رموز ورموز، والشاعر يحمل معاني جديدة لهذه الأساطير

حسب الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية. «نظرة الشاعر في مجتمعاتنا مضطربة أن تضع في حسابها كثيراً من المستجدات كروح العصر وظهور مخترعات حضارية ونشوء علاقات جديدة بين الطبقات الاجتماعية وتغير في الاتجاه السياسى العام، وقيام أنظمة وسقوط أنظمة... أشياء وأشياء تجبر الشاعر على استخدام الأسطورة الأولية استخدماً جديداً، كمفاهيم والقيم الأخلاقية والطموحات الفكرية.» (عبود، ١٩٩٩م: ١٥٢) تعطى الأسطورة لونا رمزياً للقصيدية وتحمل معنى جديداً لعبارات القصيدة، ومن خلالها ينقل الشاعر رؤيته للعالم إلى القارئ بطريقة مختلفة. «وتكمن خلف اللغة الشعرية، حتى لو كان الشعر تعبيراً حاراً عن تجربة ذاتية في صورة غنائية، طبقة من الإشارات والرموز الأسطورية، ويتربسب قدر من لغة الإنسان الأولى، بكل ما فيها من تجسيد للأهواء والمشاعر، ومن بث الحياة في الأشياء، ومن إحساس بوحدة الكون والإنسان وحدة تجعله جزءاً من الكيان الحى الخالد.» (داود، د.ت: ٢١٥) لذا فالأساطير لها وظيفة فنية في الشعر، والشاعر يعبر عن هدفه الشعرى بطريقة رمزية بمساعدتها. «أدت أنواع الأساطير إلى إنشاء جميع أنواع الرموز في الأدب، والآن ينظر إلى الأسطورة على أنها أعلى مستوى من الشفرات القادرة على حمل ونقل عبء ثقيل من المفاهيم.» (رجايب، ١٣٨١ش: ٤٤) أى أن الأساطير تتضمن العديد من المفاهيم داخل نفسها، والشاعر يعبر عن هذه المفاهيم العريضة بطريقة موجزة ومختصرة بمساعدتهم. «يمثل توظيف الرمز الأسطوري في الشعر الناضج محاولة مقصودة من الشاعر للارتفاع بالقصيدية من تشخصها الذاتى إلى إنسانيتها الأشمل والأعم... فالأسطورة توحد الجزئى والكللى، ويندمج فى كينونتها الذاتى بالموضوعى، وتتعدى الوعى المفرد لتلتصق بالوعى الجمعى.» (عيد، ٢٠٠٣م: ٢٩٨) لذا، تلعب الأساطير دور نموذج جماعى يصور تكوين بعض المشاعر الإنسانية عبر التاريخ، وبمساعدتها يعبر الشاعر عن التطورات السياسية والاجتماعية والتاريخية فى لغة الشعر.

تعتبر الأسطورة من أهم أدوات الشاعر المعاصر فى ابتكار المضامين الشعرية الجديدة وأسلوب التعبير المميز وهى تستخدم بطرق مختلفة فى الشعر. هنا يشار إلى ثلاثة أنواع كثيرة الاستخدام من طرق توظيف الأساطير، أى تكرار السرد، وتغيير

السرد، وإعادة تكوين السرد. «في نهج تكرار السرد، تدخل الأساطير الأدب دون أى تغيير فى الأوقات المختلفة. الرواية المباشرة للروايات الأسطورية فى الشعر هى أبسط أنواع المقاربة الأسطورية وأكثرها سطحية.» (حسنلى، ١٣٨٣ش: ٣٥٦) يشير الشاعر فى هذه الطريقة إلى جوهر قصة هذه الأسطورة ولا يحدث أى تغيير فيها. «فى طريقة تغيير السرد، يقوم الشاعر بإجراء تغييرات فى جوهر السرد بقدرته على الخيال والإبداع. يعد تغيير السرد الأسطوري إحدى حيل الشعراء للابتكار وجعل الجمهور يفكر. يستخدم هذا التغيير أحياناً عن عمد فى العمل الأدبى، بمعنى أن الشاعر إما يغير الأساطير عن طريق الجمع بين أساطير الشعوب المختلفة، أو يغير جزءاً من القصة وفقاً لفكره وهدفه.» (امامى، ١٣٨٥ش: ١٩٩؛ بيروز وكجورى، ١٣٩٧ش: ١٣٥) فى الطريقة الثالثة، بالإضافة إلى تغيير رواية الأسطورة، «يضع الشاعر خصائص للأسطورة مختلفة تماماً ومتناقضة مع العقلية التى لدى عامة الناس حول هذه الأساطير فى أذهانهم. يمكن للأساطير، بقدراتها الشعرية والرمزية والقابلة للتفسير، أن تتحول وتضطلع بدور جديد فى أى عصر ووفقاً لظروف اجتماعية محددة وحدود فكرية وجغرافية مختلفة بين مختلف الناس.» (پور نامداريان، ١٣٨١ش: ٢٨٢؛ سركاراى، ١٣٨٨ش: ٢١٣) يؤكد هذا النهج على قبول الأدوار للأسطورة فى أزمنة مختلفة وأن الشاعر يظهر إبداعه للجميع ويقدم جانباً جديداً ومختلفاً من الأسطورة بناءً على نظرتة للعالم ومتطلبات عصره.

استعراض طرق توظيف الأساطير فى شعر فوزية أبى خالد

اهتمت أبو خالد كثيراً بالتراث، وانعكست أساطير مختلفة من بلاد ولغات مختلفة فى شعرها. يمكن تقسيم الأساطير المستخدمة فى شعر أبى خالد إلى أربع فئات رئيسية. ١- الأساطير غير الدينية والتقدمية المتعلقة بثقافة الأمم الأخرى، مثل سيزيف، وعتقاء، وشهرزاد، وزرقاء اليمامة، وجلجامش، والمجدلية، ونفرتيتى، وإيزيس، وزليخة، وعشتار، وجندرک. ٢- الأساطير الدينية مثل آدم وحواء والنبي نوح ومريم (س) والنبي عيسى وبلقيس والنبي سليمان والإمام الحسن والإمام الحسين. ٣- الأساطير الأدبية: يشمل هذا النوع من الأساطير فى الغالب الشخصيات النسائية التاريخية التى

هى إما جزء من شعراء مشهورين أو عشاق مشهورين للأدب العربى الكلاسيكى. ومن هذه الأساطير: خنساء، سعاد، ليلى، لبانى، عبله، بثينة، خولة، فاطمة. ٤- الأساطير العربية قبل الإسلام وما بعد الإسلامية الأقل تواتراً. من إجمالى عشرة كتب شعرية و ٤٢٢ قصيدة، تم استخدام ٥٥ أسطورة. تتعلق ١٢ أنموذج بالأساطير غير العربية التى تشمل الثقافة القديمة وحضارة إيران واليونان ومصر وسومر وآشور. تضم ١٨ شخصية دينية و ١٧ أسطورة أدبية. ٨ أنموذج لها علاقة بالخرافات العربية بعد الإسلام وقبله. توزع إحصائيات انعكاس هذه الأساطير حسب كتب الشعر العشرة على النحو التالى: الكتاب الأول ٣، الثانى ٢٠، الثالث ٧، الرابع ٠، الخامس ٤، السادس ١، السابع ٤، الثامن ٤، التاسع ٢، العاشر ٨. تظهر هذه الإحصائية أن أباخالد استخدمت الأساطير فى معظم دفاتره الشعرية، ولكن فى دفاتره الشعرية الثلاثة الأولى، التى تتعلق بشبابها، وتشمل فى الغالب مواضيع مثل النسوية وحرية المرأة، والوضع الاجتماعى والسياسى فى العالم العربى. كان لديها رغبة أكبر فى الأساطير. من ناحية أخرى، فإن التنوع الثقافى للأساطير فى شعر أبى خالد يظهر دراساته المكثفة حول الثقافات الأخرى، مما يساعده على رفع راية الحدائث والحرية ليس فقط فى الأدب العربى، ولكن فى الأدب العالمى أيضاً. الاستراتيجيات الثلاث التى تناقش فى هذا البحث هى تكرار السرد وتغيير السرد وإعادة تكوين الأسطورة.

تكرار السرد

أحياناً يكتفى الشاعر بالسرد الرئيسى للأساطير فقط أو ذكر اسم الأسطورة فى نص القصيدة ولا يغير وظيفتها أو سببها. هو يستخدم هذه الأساطير بإبداعه الشعرى حسب موضوع قصيدته. فى هذا النوع من توظيف الأساطير، لا يبين الشاعر اسم الأسطورة فحسب، بل يشير أيضاً إلى أصل الأسطورة بمساعدة التشبيه والاستعارة والكناية. كما أنه يكرر أحياناً جوهر السرد بطريقة ضمنية وكنائية. وقد استخدمت أبوخالد هذا الأسلوب فى استخدام الأساطير فى شعرها. لديها علاقات وصدقات عديدة مع الفنانين والكتاب الناطقين بالعربية. إن منيرة موصلى رسامة سعودية ذات

أسلوب مميز، تكتب أبوخالد قصيدة عن جمال أعمالها الفنية، وتصف لوحة لها بكلمات شعرية، تصوّر فيها فضاء ومشهداً بين الخيال والواقع، وتصور فراشة تتحول إلى عنقاء تذهب بعيداً. تشير أبوخالد إلى السمة الأسطورية للعنقاء وعدم القدرة على الوصول بها ومتكناً على قوة الخيال في التشبيه، اعتبرت الفراشة عنقاء بعيد المنال: «عَمَسَتْ الْفَرَّاشَةُ الَّتِي انْهَزَمَتْ / جَنَاحاً فِي الْحَبْرِ وَجَنَاحاً فِي الْحَرِيقِ / وَشَكَّلَتْ عَنقَاءً تَبْتَعِدُ.» (ابوخالد، ٢٠١٤م: ٢٠٩) تشير الشاعرة فقط إلى الماهية الرئيسية لعنقاء وموتها وولادتها وخفائها. وبمبالغة في كلامها، تعتقد أن الفراشة هي عنقاء وتجسد في المهارة الفنية لهذه الرسامة وتؤسس صلة بين عالم النصّ وعوالم ما وراء النصّ وتعيد قراءة قصة عنقاء في سياق شعري جديد. على الرغم من التجديد في موضوع القصيدة، إلا أن أبوخالد لا تغير جوهر السرد.

من المصادر الثقافية الأخرى أخذت منها أبوخالد أساطيرها هي الحضارة القديمة بين النهرين، والتي تضم الحضارات السومرية والآشورية والبابلية وغيرها. «جلجامش من أساطير الثقافة السومرية التي رواها البابليون.» (مؤذني ويعقوبي، ١٣٨٢ش: ٧٠) يمكن العثور على آثارها في الأعمال التاريخية للحضارات الأخرى. انعكست هذه الأسطورة على نطاق واسع في الشعر العربي المعاصر. «إنّ جلجامش ملحمة الحياة والموت وهي من أولى الأفكار الفلسفية عن الموت، والتي يتم التعبير عنها بأسلوب ملحمي وتعبّر عن بحث رائع لتبيل الحياة الأبدية والعظمة.» (شميسا، ١٣٨٩ش: ١٠١) تقدم أبوخالد في بعض قصائدها صورة للمرأة العربية المعاصرة التي وصلت إلى مستوى من الوعي وتسعى إلى تحقيق حقوقها ومثلها، امرأة تقرأ من أجل معرفة الحقيقة ومكانة نفسها الرفيعة أهم الكتب من ألف ليلة وليلة إلى بوشكين وكافكا: «قَرَأَتْ كُتُباً لَا تُحْصَى / وَأَيَقَنَتِ الْحَقَّ / قَرَأَتْ أَلْفَ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ / ... / قَرَأَتْ بُوشِكِينَ وَكَافْكَ / قَطَعَتْ الْبَقِيْنَ بِالشِّكِّ / وَصَلَتْ الشِّكَّ بِالْبَقِيْنَ / قَرَأَتْ نَشِيدَ الْإِنْشَادِ مَلْحَمَةَ جِلْجَامِشَ وَالسِّرَ الشَّعْبِيَّةَ» (ابوخالد، ٢٠١٤م: ٢٢٤)

تستخدم الشاعرة أسطورة جلجامش لإظهار مدى دراسات المرأة والجهود المبذولة لتحقيق مكانتها الحقيقية عبر التاريخ. هي تشير دون تغيير جوهر السرد، إلى كتاب

ملحمة جلجامش، الذي يصور أسلوب حياته المحفوف بالمخاطر وجهوده للوصول إلى الحقيقة والخلود. هدف الشاعر من استدعاء هذه الأسطورة القديمة هو تعزيز الوعي والثقة بالنفس والإدراك والمعرفة لدى المرأة العربية التي يتم تجاهلها في المجتمع.

ظهرت الأساطير الدينية كثيراً في قصائد أبي خالد. سليمان النبي هو من الشخصيات الدينية التي ظهرت في الشعر العربي المعاصر. إنه أحد الأنبياء السماويين، ولكن تم بناء العديد من الأساطير حول حياته، وجذور العديد من هذه الأساطير هي مصادر يهودية. خاتم سليمان (ع) هو رمز للقوة الخارقة وهو قد فعل أشياء غير عادية مع هذا الخاتم. تستفيد أبو خالد من هذه الأسطورة في شعرها، وتجلب هذه الأسطورة وقصة القوة السحرية لخاتمته في قصيدتها دون تغيير السرد. هي تصف سرباً من الطيور ينثر الرمال الذهبية في الهواء، وانعكاس الضوء من الرمال يجعل المرء يعتقد أن خاتم النبي سليمان على إصبعهم: «الْحَصَى يُمِسُّ سِحْرُ / شَمْسِ الْعَصَارِي / فَيَلْمَعُ / فِي أَصَابِعِهِمُ الصَّغِيرَةِ / كَأَنَّهُمْ يَمْتَلِكُونَ خَاتَمَ سُلَيْمَانَ / وَهُمْ يَرْمُونَ الْحِجَارَةَ فِي الْهَوَاءِ / وَيَلْتَقِطُونَهَا / بِمَنَاقِيرِهِمْ» (المصدر نفسه: ٣٧٨)

تشير الشاعرة فقط إلى تكرار أسطورة سليمان (ع) وقوتها السحرية وتدعى بمساعدة التشبيه وجود تشابه بين صورة الرمال الذهبية الملقاة في الهواء والجوهر اللامعة لخاتم النبي سليمان، ومن خلال الجمع بين موضوع جديد وقصة تاريخية، تخلق لغة شعرية جديدة ومميزة. تدخل الشاعرة من خلال ذكر قصة سليمان (ع)، شخصية أخرى في فضاء قصيدتها وتعطي طابعاً متعدد الألمان لنصها وتزيل معناها من الحالة السطحية. أحياناً لا تكفى أبو خالد بذكر أسطورة، فإنه يبتكر عبارات شعرية جديدة ومميزة ذات لون عتيق من خلال الإشارة إلى أسلوب حياته أو خصائصه الأخلاقية والجسدية. في هذه الأبيات، تكرر الشاعرة فقط السرد الرئيسي لهذه الأساطير في قصيدتها ولا تتدخل فيها. في الأبيات التالية، تذكر قصة غياب عنقاء وابتعادها عن الأنظار، ودموع الخنساء الكثيرة (حداداً على إخوتها الذين قُتلوا في الحرب) وبياض عيون يمامة الزرقاء (التي تشير إلى القوة المذهلة لعينها) أيضاً: «أَشْتَاقُ إِلَى صَوْتِ سَعَادِ / إِلَى شِعْرِ سَعَادِ / أَشْتَاقُ إِلَيْهَا / تَتَحَدَى اللَّحْدَ / عَوْدَةَ عَادَاتِ الْوَادِ / غِيَابَ الْعَنْقَاءِ / دُمُوعَ

الْحَنَسَاءِ / اِبْيَضَاصٌ عُيُونِ الزَّرْقَاءِ» (المصدر نفسه: ٥١٨)

تستخدم أبوخالد هذه الأساطير لخدمة نظرتها النقدية للمجتمع الذى يكره عن المرأة وتصف المرأة العربية المعاصرة بأنها كائن متمرّد لا يريد أن يضطهده المجتمع الأبوى التقليدى. هى تشبّه المرأة العربية المحبة للحرية بعنقاء تعيد بناء نفسها وتجّد حياة جديدة وتسعى للنمو والتقدم. كما أنها تنسب خاصية الانفعال والشعور القوي للمرأة العربية الجديدة من خلال استحضار قصة الحنساء وبكائها الطويل، وتظهر أنها على الرغم من تمردها وعصيانها، إلا أنها تتمتع بعاطفة المرأة. تريد الشاعرة بالإشارة إلى حدة بصر زرقاء اليمامة ورؤيتها القوية، أن تعتبر المرأة العربية اليقظة والواعية مثل هذه الأسطورة القديمة، التى هى رمز للذكاء والبصيرة. غرض الشاعرة فى طرح هذه الأساطير هو رفع كرامة ومكانة المرأة فى المجتمع العربى التقليدى، ومن خلال استعراض السمات غير العادية لهذه الأساطير التى تشترك فى سمة واحدة وهى أنوثتها، فإنها تعطى للقارئ رسالة مفادها أن المرأة ليست كائنة ضعيفة ولديها القدرة على التقدم وتحقيق العظمة.

تستخدم أبوخالد أسطورة حواء فى موضوع نسوى وباستخدام التشبيه وتكرار رواية حواء وآدم، فإنها تخلق توازياً بين تمردها ضد القوانين القمعية للمجتمع الأبوى وخروج آدم وحواء من الجنة بسبب ارتكابها الخطيئة. تعتقد أنها من أجل إثبات وجودها، يجب أن ترتكب جريمة وخطيئة، كما أثبتت حواء نفسها بأكل تفاحة وابتعدت عن كونها طفيلية على وجود آدم: «عَلَى هَيْئَةِ هَلَالٍ رَهِيْفٍ / فِي سَلَامٍ مَعَ نَفْسِهِ / كُنْتُ سَأَكُونُ لَوْلَا هَذَا النَّصْلُ / الَّذِي أَصَابَنِي فِي مَقْتَلٍ / وَأَخْرَجَنِي مِنْ سَكِينَتِي مِثْلَمَا خَرَجَ آدَمُ وَحَوَاءُ مِنَ الْجَنَّةِ / وَصَارَ عَلَى / ارْتِكَابِ الْجَرَائِرِ / وَالْبُطُولَاتِ / لِأَجْدَ مَعْنَى لَوْجُودِي» (المصدر نفسه: ٤٢٩)

تقارن الشاعرة نفسها بحواء وتبرز شجاعته وتمردها بهذه المقارنة. تؤكد أنها من أجل تحقيق الحرية بوجهة نظر وجودية، يجب على الإنسان تحمل المصاعب وترك إطاره المحدد مسبقاً، ولهذا التمرد ثمن باهظ وتنسب إليه العديد من الاتهامات. تشير الشاعرة فقط إلى رواية القصة الرئيسية لآدم وحواء ولا تقوم بأى تغييرات فى القصة الأصلية، ولكن من خلال الجمع بين التراث والحداثة، تصنع مزيجاً جديداً وبمساعدة

هذه الأسطورة، تنشئ رابطاً بين الماضي والحاضر، وتذكر استمرارية بعض الظواهر والقضايا على مدى الزمن.

لا يذكر أبو خالد أحياناً اسم الشخصية الأسطورية، لكنه يكرر ضمناً جزءاً من السرد الرئيسى لهذه الأسطورة. عاصفة نوح هي إحدى القصص التي استخدمتها أبو خالد للتعبير بشكل أفضل عن موضوعها الشعري، وفي إشارة إلى حالة الفوضى في البلدان العربية، فهي تعتقد أن هذا الشغب والحزن لا يزالان مع العرب منذ زمن عاصفة نوح: «يولدُ العَرَبِيّ مَفْطُوراً عَلَى الكَبَدِ / صَبَّتْ بِصَدْرِي / قَوَارِيرُ المَوْجِ مِنْ عَهْدِ الطُوفَانِ» (المصدر نفسه: ١٨٢)

تستغل الشاعرة هذه الأسطورة لخدمة أفكارها القومية والمليمة وتنتقد اضطهاد الاستكبار العالمي ودور الدول المهيمنة في انقسام العالم العربي وسوء أحوال الدول العربية. ما حدث تغيير في رواية هذه الأسطورة والشاعرة بالإشارة إلى قصة النبي نوح (ع) تذكر الخلفية التاريخية لمواجهة الظالم والمظلوم وتصف وتشرح مقولة سياسية في شكل حدث تاريخي وديني وتعبّر عن حساسيتها وتحيّزها تجاه قضايا العالم العاربي، بمساعدة التشبيه والتلميح واستخدام لغة أدبية.

تعتبر أسطورة آدم وحواء من أشهر القصص الدينية التي رويت في مختلف الروايات. وفقاً لبعض المصادر، لم يكن لحواء وجود مستقل في بداية الخلق وكانت على شكل ضلع داخل صدر آدم، ثم جعلها الله لاحقاً إنساناً. من وجهة نظر المفكرات النسويات وأبي خالد، هذا التفكير خرافة وطريقة يهملش الرجال به النساء. لا تظهر أبو خالد اسم الشخصية الرئيسية لهذه الأسطورة، يعنى حواء، لكنها تشير ضمناً إلى جوهر السرد حول خلق حواء على شكل ضلع في صدر آدم. هدفها من تكرار سرد هذه الأسطورة هو الانتقاد من الأفكار المعادية للمرأة: «امرأة قالوا لها / أنتِ من ضلعِ أعوجِ / فتعرّفتِ في سِياحِ البِلادِ / عَلَى عَظْمَةِ حَوْضِهَا» (المصدر نفسه: ١١٢)

تتذكر الشاعرة قصة حياة حواء، وتعتبر أن القهر والظلم ضد المرأة قضية قديمة جداً استمرت عبر التاريخ، لكنها تعتقد أن المرأة العربية المعاصرة، بمعرفة حقوقها، ستحاول دحر هذه النظرة السلبية. يؤدي استدعاء أسطورة لحواء إلى أن تدخل قصة أخرى

بشخصياتها الخاصة فى شعر أبى خالد، وأنها ترتبط بشكل هادف من حيث المضمون مع موضوع شعر أبى خالد. فإن هذه القضية بالإضافة إلى تعزيز البعد القديم للكلام، توسع القدرة الدلالية لكلمات وعبارات شعر أبى خالد، وهى تعبر عن مفهومها النقدى بلغة مجازية وبمساعدة هذه الأسطورة.

تغيير السرد

فى هذه المقاربة، تقوم الشاعرة بإجراء تغييرات فى سرد الأسطورة بطرق مختلفة ويظهر للقارئ شكلاً جديداً لمفهوم الأسطورة. تعمل أبو خالد بإبداع فى استخدام هذه الأساطير وتنشئ معنى جديداً لها. هى تغير رواية هذه الأساطير بأربع طرق: تغيير فى الوظيفة، وتغيير فى السبب، وتغيير فى السرد بناءً على الإطار ذهنى وتشويش وتكسير الزمن. تجلب أبو خالد أحياناً بعض سمات الأساطير أو القصص المتعلقة بها فى قصيدتها، لكنها تُجرى تغييرات فى وظيفة سرد هذه الأساطير.

تغيير فى الوظيفة

عنقاء هى واحدة من أكثر الأساطير شيوعاً فى الشعر العربى المعاصر، والننى تشبه إلى حد بعيد اسطورة "سيمرغ" فى الثقافة الإيرانية وأسطورة "ققنوس" فى الثقافة اليونانية. «العنقاء طائر خُرَافى، وهو يرمز إلى الانبعاث من جديد. وتقول الأسطورة: إن هذا الطائر ينبعثُ بعد احتراقه مثله فى ذلك مثل طائر الفينيق.» (خليل، ١٩٩٥م: ١٢١). «فى الثقافة الإسلامية، أحياناً يطلق اسم عنقاء على «سيمرغ» (ياحقى، ١٣٧٥ش: ٢٦٧) ومع ذلك، يعتقد الكثير أن «عنقاء هى واحدة من الطيور الأسطورية للشعب العربى.» (ثروتیان، ١٣٥٢ش: ٢٠٤) على الرغم من تشابه عنقاء مع سيمرغ و ققنوس، إلا أنها أسطورة مرتبطة بالثقافة العربية. تعتقد مجموعة أن «عنقاء هى طائرة أسطورية ذات صلة بثقافة مصر القديمة، وقد تم تكوين العديد من الأساطير حول موتها وولادتها؛ بما فى ذلك أنها تعود إلى مصر مرة كل خمسمائة عام وتبنى عشها وتموت، ثم تخرج عنقاء جديدة من جسدها، أو تحرق نفسها وتخرج عنقاء جديدة من رمادها.» (حلبى، ٢٠٠٤م: ٦٤-٦٥) يمكن اعتبار عنقاء رمزا للبعث والحياة الجديدة.

تشتكى أبوخالد في تعبير رومانسي من بعد ومسافة الصديق، وهو انفصال مؤكد ولا أمل في الارتباط بعد ذلك. ومع ذلك، الشاعرة تنتظر إلى ما لا نهاية لزيارة محبوبها، ويبقى عليها باستمرار اللباس الأسود الذي ترتديه إثر فشلها في الحب. وكأنه عنقاء تعود للحياة بعد الموت، فإن هذا السواد لا يختفى ويعيد نفسه من جديد. تستفيد أبوخالد أسطورة عنقاء ومصيرها المذهل، من أجل التعبير عن حزنها بشكل أفضل، ولكن في سرد هذه الأسطورة، تخلق تغييرات تناسب مشاعرها وتصور استمرار اكتسابها باستخدام كيفية الحياة والموت للعنقاء: «وَعَدْتَنِي بِأَنْ تَأْتِي وَمَا أَتَيْتَ /.../ صَارَ ثَوْبِي الْأَسْوَدُ نِهَآيَةَ عَنقَاءٍ وَلَمْ تَأْتِ» (أبوخالد، ٢٠١٤م: ٧٥)

هذا التغيير هو تغيير في وظيفة سرد هذه الأسطورة، وتصنع الشاعرة مفهوماً جديداً لهذه الأسطورة من خلال استدعاء أسطورة عنقاء القديمة في الوقت الحاضر وتضعها في خدمة انشاء مفهوم أدبي للحب وتكشف مشاعرها الداخلية بلغة غير مباشرة وأدبية، فيقرأ القارئ شعرها باهتمام وانتباه أكبر، ويدرك جماله البلاغي.

تصف أبوخالد في قصائدها شجاعة الثوار العرب الذين قاموا ضد الاستبداد الداخلي والاستكبار الأجنبي. بهية، فتاة مصرية شابة، هي واحدة من هؤلاء النساء اللواتي اغتيلت في الانتخابات المصرية. تشير أبوخالد إلى الجيل الثوري المحب للحرية من الفتيات، وهذه تستخدم أساطير المرأة المصرية القديمة وهن نساء مثل زليخة ونفرتيتي وإيزيس اشتهرن بجمالهن وجاذبيتهن بطريقة ما. لم تذكر أبوخالد أسماء هذه الأساطير في قصيدتها فقط لإظهار مدى معلوماتها التاريخية، ولكن باستخدام الفعل السلبي «ليست» تريد أن تقدم الجيل الجديد من النساء المصريات إلى العالم، اللواتي يقاتلن بغض النظر عن جمالهن وجاذبيتهن، ويحاولن الدفاع عن حقوقهن ولا يُحصرن قيمتهن ومكانتهن وأنوثتهن في إطار جمالهن وحنانهن. استخدمت أبوخالد من أجل تصوير طهارة وشجاعة بهية ومعاصريها، إحدى الأساطير الدينية، مريم المجدلية، وهي رمز للتحويل الروحي، وبإضافة فعل المضارع «تعود» تقارن بين مريم المجدلية وبهية، كأنهما شخص واحد: «لِبِهِيَةِ شِفَاهِ تُغْرِى / وَلَكِنَّ قُبُلَتَهَا مُرَّةٌ / هَذِي الْمَرْأَةُ تَعُودُ اللَّيْلَةَ إِلَى صَدْرِكِ / تَعُودُ مَجْدَلِيَّةٌ / لَيْسَتْ نِفْرَتِيَّتِي / لَيْسَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيْزِ / لَيْسَتْ إِيزِيْسُ»

(المصدر نفسه: ١٤٤)

لذلك، من خلال الإشارة إلى الميزات الأخلاقية الرئيسية لهذه الأساطير، أولاً، تنفى الشاعرة وترفض هذا التفكير المغمض والمادى والحسى عن المرأة وقيمتها الوجودية، وثانياً، تعتبر المرأة العربية الحديثة واعية جسورة وحرّة. انتشلت نفسها من أن تكون طفيلية لوجود الرجل وقد وصلت إلى الاستقلال. التغيير فى سرد هذه الأساطير هو التغيير فى وظيفة السرد، وتظهر الشاعرة تجديد بعض المفاهيم مثل المقاومة والشجاعة والصحة للمرأة العربية عبر التاريخ من خلال ربط الحاضر بالماضى.

تغيير فى السرد بناءً على إطار تفكير الشاعر

سيزيف من أشهر الأساطير اليونانية القديمة، والتي انعكست على نطاق واسع فى الأدب العالمى والأدب العربى المعاصر. «هو كواحد من مجرمين العالم الساقط، بسبب عدم احترام إله الآلهات «زيوس» وكشف سره، حكم عليه بعقوبة حمل صخرة من حفرة عميقة فى عالم الموتى إلى قمة الجبل. كان سيزيف يضع هذا الحجر على كتفه ويتحرك صعوداً على أمل وضعه على قمة الجبل، ولكن دائماً فى اللحظة الأخيرة كان هذا الحجر يتدحرج إلى أسفل وكان عليه أن يواصل هذا العمل حتى النهاية، لكن هذا لم يحدث أبداً. هذه الأسطورة هى رمز لعجز الإنسان ضد إرادة حاكمه.» (كندى، ١٣٨٥ش: ٢٧٣؛ زمردى، ٢٠١٣م: ٢٦٧)

أبوخالدهى واحدة من رواد حركة تحرير المرأة فى المملكة العربية السعودية، والتي تدافع بشجاعة عن حقوق المرأة فى الأجواء الذكورية والكارهة للمرأة فى المملكة العربية السعودية. متأثراً لرؤيتها العالمية للمرأة، هى تشعر بالحزن الشديد بسبب سوء حالة المرأة وعدم المساواة بين الرجل والمرأة. تأخذ الشاعرة لتصوير حزنها بشكل أفضل، المساعدة من شخصية سيزيف القديمة، والتي تعد رمزاً للقمع. تقوم الشاعرة بإجراء تغييرات فى سرد هذه الأسطورة وتدخّل نفسها فى نطاق هذه الأسطورة. إنها تشبه أسطورة سيزيف، وتعتبر العملية المتكررة لمحاولة تحرير المرأة ماثلة لمجهود سيزيف المتكرر والعقيم فى رفع الحجر عن الجبل، لأن هناك عوائق كثيرة فى طريقها. توضح

الشاعرة أن أسطورة سيزيف لا تتعلق فقط بالعصور القديمة، بل تظهر في الشخصيات الحديثة أيضًا: «كَأَنَّتْ خَاصِرَتِي خَارِطَةً لَوْجِعِ الْعَالَمِ / كَأَنَّتْ خَاصِرَتِي تَضْمُرُ وَتَضْمُرُ حَتَّى تَصِيرَ سِيزِيفَ / فِي سَفْحِ الْقِمَّةِ» (ابوخالد، ٢٠١٤م: ٦٩)

تعتبر الشاعرة نفسها متعادلة ومتوازنة لهذه الأسطورة وتخصص لها معنى جديدًا وفقًا لنوع تفكيرها ومشاعرها الأثنوية وتحديث تحولاً في سرد هذه الأسطورة. إنَّ الشاعرة بمساعدة هذه الأسطورة وسماته الأخلاقية والشخصية الواضحة، تسلط الضوء على منهجها الملتمزم تجاه المرأة العربية وباعتبار نفسها سيزيف، توجه رسالة لخصومها بأنها رغم الصعوبات والمضايقات، تواصل طريقها وتدافع عن حقوق المرأة. إنَّ الجمع بين تاريخ هذه الأسطورة القديمة مع هذا الموضوع الاجتماعي المعاصر ينشئ مفردات جديدة ويستكشف القارئ قلب التاريخ البشري القديم للحظة ويعثر على العلاقة الدلالية بينهما ويستخلص استنتاجات من شعر أبي خالد بمزيد من التأمل واللذة ويدرك الأغراض الثانوية لأبياتها.

تستخدم أبوخالد في بعض قصائدها مقاربة تاريخية وتصف بعض المواضيع السياسية المتعلقة بحرية المرأة في المجتمع العربي بمساعدة الأساطير العربية والمصرية. هي تصف في قصيدة «نشيد بنات المكلا...» جيلًا من النساء الشجاعات الساعيات إلى الحرية اللواتي يفقدن أرواحهن للدفاع عن حقوقهن، وبهية، فتاة مصرية شابة، واحدة منهن. في هذه القصيدة، تتعمق أبوخالد في تاريخ مصر القديم وتذكر قصة الهجوم الوحشي لشعب «الهكسوس». بالطبع، شعب الهكسوس هو استعارة للاستكبار العالمي المعاصر واستعارة لدول مستعمرة مثل مصر. تساعد أبوخالد من أسطورة «زرقة اليمامة» في انشاء فضاء شعري مناسب وربطه بالقضايا السياسية ومكانة المرأة في العالم العربي وخاصة في المملكة العربية السعودية. زرقة هي شخصية شبه أسطورية وخرافية مرتبطة بأرض اليمامة القديمة في شبه الجزيرة العربية، وفقًا للتقاليد الأسطورية، كان بصرها قويًا جدًا؛ بهذه الطريقة رأت كل شيء من مسافة بعيدة جدًا. «يضرب بها المثل في حدة بصرها فيقولون «أبصر من زرقة اليمامة» يا «أبصر من الزرقاء.» (ميداني، لاتا: ج ١/ ١٥٨) ولا تقتصر الشاعرة على ذكر اسم هذه الأسطورة إلا بشكل سطحي، بل إنها تحولها

إلى شخصية وكأنها تعيش في العصر الحالي، والفتيات الشابة مثل بهية هن أحفادها اللواتي يدرسن المقاومة بشجاعة. تقوم أبو خالد بتكسير الزمن وباستخدام أفعال المضارع «تَفْزُ» و «تَنْفُخُ» لزرقاء اليمامة، تتخيلها كشخصية مرتبطة بهذا العصر وتقدم للقارئ صورة جديدة عنها تتناسب مع أفكارها وظروف العالم المعاصر. يبدو الأمر كما لو أن هذه الشخصية يعاد تشكيلها وفي العالم المعاصر تأخذ معنى جديداً وتصبح رمزاً لمقاومة واستقلال المرأة السعودية: «حَكَمَ عَلَيْهَا حُلْفَاءُ الْهَكْسُوسِ / بِالسُّخْرَةِ حَتَّى الْمَوْتِ / لِإِعَادَةِ تَرْمِيمِ وَجْهِ فِرْعَوْنَ / وَإِلِعَادَةِ صِيَاغَةِ شِكْلِ الْهَرَمِ / وَلِأَنَّهَا لَنْ تَكُونَ أَوْلَ امْرَأَةٍ / وَلَنْ تَكُونَ آخَرَ امْرَأَةٍ / تَقْفُ لِلظُّلْمِ بِالْمِرْصَادِ / تَفْزُ زَرْقَاءُ الْيَمَامَةِ / مِنْ مَوْتِهَا مَفْرُوعَةً / تَنْفُخُ فِي الرَّمَادِ / تَصْرُخُ فِي صَانِعِي النُّكْتَةِ وَفِي بَاعَةِ الصَّحَافَةِ» (ابوخالد، ٢٠١٤م: ١٤١)

من خلال استحضار هذه الشخصية الأسطورية في العصر الحالي، تغير أبو خالد سرد هذه الأسطورة وفقاً لإطارها الفكري وتعطيها معنى جديداً وتضفي عليها شخصية متمردة تنهض للدفاع عن النساء الشجاعات والأحفاد مثل بهية المصرية، وهذا في الوقت نفسه، فإن زرقاء اليمامة أكثر شهرة في ذهن الجمهور بسبب قوة بصرها.

ارتباك الزمن

شهرزاد من الأساطير الإيرانية التي لها صدى واسع في الشعر العربي المعاصر، وقد ذكرتها أبو خالد ثلاث مرات في قصائدها. «ويكتشف الملك الساساني شهریار ووزيره خيانة زوجتيهما ويقتلانهما، وللانتمام يتزوج الملك عذراء كل ليلة ويقتلها في الصباح حتى يمحن دور ابنة الوزير شهرزاد. هي فتاة صغيرة تحكى قصة كل ليلة لتتقذ حياتها من الملك، وتتقذ حياتها حتى ليلة الألف، وفي القصة الأخيرة يقع الملك في حب شهرزاد ويتزوجها، وهكذا تتكون حكايات ألف ليلة وليلة. في «ألف ليلة وليلة»، شخصية شهرزاد هي فضولية وطالبة المعرفة.» (الف ليلة وليلة، لاتا: ٧-١٤؛ ستارى، ١٣٦٨ش: ٣٨٨) تتحدث أبو خالد مع حبيبها بموضوع رومانسي، وتعتبر قلبها مليئاً بالكلمات كإناء نبيذ مليء بالكلمات الرومانسية التي لم تجربها بحبيبها. الشاعرة تستخدم قصة شهرزاد

للمبالغة في صمتها وكلماتها غير المنطوقة. تقوم الشاعرة بإجراء تغييرات في سرد هذه الأسطورة ومع ارتباك الزمن، تعتبر نفسها معاصرًا لشهرزاد وتصف صمتها بأنها قديمة جدًا وطويلة الأمد. تدخل الشاعرة نفسها مجال سرد هذه الأسطورة وتستخدمها للتعبير عن مشاعرها بشكل أجود: «كَلِمُكَ وَبِتَدَخُّلِ إِصْبَعِي / وَتَدَخُّلِ عَيْنَايَ... / تَتَحَوَّلُ جَوَارِحِي إِلَى جِرَارِ ثُمَالَةٍ / لَمْ تَتَكَلَّمْ مُنْذُ صَمَمْتَ شَهْرَزَادُ» (ابوخالد، ٢٠١٤م: ١١٨)

تنظر أبوخالد إلى أسطورة شهرزاد من زاوية مختلفة وتصف مفهوم الحب والهوس بأجمل طريقة وتقدم للقارئ صورة جديدة ومختلفة عن التصور العام لهذه الأسطورة. أهم ما تميز شهرزاد في أذهان الناس هي روايتها للقصص وبلاغتها، لكن الشاعرة منحتها صفة الصمت التي تتعارض إلى حد ما مع الطابع التاريخي والأسطوري لشهرزاد. من أجل خلق التنوع في أسلوب حديثها وتجنب من العبارات المتكررة والابتكار والتحول في لغتها الشعرية، تدعى أبوخالد التشابه بينها وبين هذه الأسطورة وتبرز مشاعرها الرومانسية وحزنها وصمتها وتتعمد تأخير فهم معنى عباراتها.

تغيير سبب السرد

كما أن للأساطير والشخصيات الدينية وظيفية أدبية في قصائد أبي خالد، وهي تحمل معاني جديدة لهذه الأساطير بإبداعها وتنتج موضوعها الشعري الجديد وفقًا لظروف العصر الراهن. توجد قصة آدم وحواء في جميع الثقافات الدينية وهي رمز لعصيان الإنسان وسقوطه الأخلاقي، مما جعله يجرم من نعمات الجنة ويهبط إلى العالم المادي، ولكن بسبب جهل بعض الجماعات والأقوام، تم بناء العديد من الخرافات حول هذه الأسطورة. في الروايات المختلفة التي قُدمت عن قصة آدم وحواء، اعتبر الكثيرون أن حواء هي سبب ضلال آدم ومصدر الفتنة والخطيئة، وقد طبقوها على المرأة بشكل عام. من خلال إدانة هذا النوع من التفكير، تنتقد أبوخالد الأفكار السامة لبعض الجماعات الدينية عن المرأة، وتشير إلى قصة حواء وهي تَأْكُلُ تَفَاحَةً، فتعتبرها خرافة تحاول جماعة من المتطرفين للتقليل من كرامة المرأة وهم يعتبرونها مصدر الخطيئة ومستحقًا للعقاب وحتى الموت. في إشارة إلى نضوج الفتاة الجنسي، ترى أبوخالد أنها أمر طبيعي

ومعمول، وتعتقد أن الرغبة الجنسية للفتاة لا تنبع من إغراءات الشيطان، وربطها بقصة أكل حواء لتفاحة هو خرافة وعذر متاح إلى الرجال وأخذوه واضطهدوا به النساء عبر التاريخ: «فِي الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ / وَلَا زَالَتْ الْبِنْتُ طِفْلَةً تَحْلِمُ / بِالْحَلْوَى / وَالْعِيدِيَّةِ وَالْمَرَاجِحِ / «حَبَّةُ الشَّيْطَانِ» تَفْتَحَتْ / فَصَارُوا يَرْجُمُونَهَا بِمَرَجِيَّةٍ / خُرَافَةٌ عِلَاقَةٌ حَوَاءَ بِالْتَّفَاحَةِ / تَحْتَمِي مِنَ الْحِجَارَةِ بِالْجُدْرَانِ / وَلَا تَدْرِي / مَا الَّذِي اسْتَشَاطَ سُخْطُهُمْ» (المصدر نفسه: ٤٦٧)

تستخدم أبوخالد أسطورة حواء لانتقاد التفكير المناهض للنسوية السائد في المجتمع العربي، وخاصة في المملكة العربية السعودية. من خلال إنكار قضية أن حواء كانت سبب ضلال آدم والبشرية بأكل تفاحة، فإنها ترفض السرد الرئيسي لهذه الأسطورة وتعتبر سبب رغبة الإنسان في الخطيئة فطريا، وبالتالي من خلال تغيير سبب خطأ الإنسان، تقدم نسخة جديدة من سرد أسطورة حواء. بمساعدة هذه الأسطورة، تعبر الشاعرة عن مفهومها النقدي بلغة مجازية استعارية، لأنها تعيش في بيئة أبوية وذكورية تماما وهناك إمكانية لعقوبتها، ومن ناحية أخرى، من خلال التعبير غير المباشر عن أفكارها، تهرب من أسلوب التعبير في الشعر القديم وتستخدم لغة كنائية ومختفة للتعبير عن رسالتها في نص قصيدتها حتى يتمكن الجمهور من فهم معنى قصيدتها بمزيد من الجهد.

إعادة تكوين الأسطورة
في هذا النوع من توظيف الأساطير، يذكر الشاعر أسماء الأساطير في قصيدتها، ولكن وفقاً للظروف والمتطلبات، يقدم سرداً جديداً لها يختلف عن السرد الأصلي، وأن الشخصية الأسطورية تغير وأحياناً تخسر ميزتها الشهيرة وتحصل على ميزات جديدة. عنقاء، التي يتم تقديمها على أنها طائفة أسطورية وخرافية، تأخذ معنى جديداً في شعر أبي خالد والذي نادراً ما نراه في قصائد الشعراء الآخرين. كانت الأساطير والخرافات هي الحقائق التي، على مدى التاريخ، مع أوراق الشجر الممنوحة لها، ابتعدت عن شكلها الحقيقي ووضعت في حالة بين الخيال والواقع. ليست أسطورة عنقاء مستثناة من وجهة النظر هذه، بالتأكيد كان هناك مثل هذا الطائر، لكن الناس في ذلك

الوقت قدموا قصصاً مذهلة ولا تصدق عن هذا الطائر بسبب المعتقدات والخرافات في ثقافتهم.

تنتقد أبو خالد وضع المرأة العاملة في المجتمع السعودي في سياق اجتماعي وتحدث عن آلامها ومعاناتها، وأن جهودها كإمرأة محبة للحرية للدفاع عن حقوقها ضد الحكومة الأبوية وثقافتها لا طائل من ورائها وكأنها تعيش في عالم غير واقعي وتقاتل منافساً وهمياً. فإنها تأخذ المساعدة من أسطورة عنقاء لوصف هذا اليأس والحزن وعدم جدوى جهودها لتحرير المرأة، لكنها تقدم صورة جديدة لهذه الأسطورة وتعتبرها خيالية تماماً وغير حقيقية، كما لو لم يكن لها هناك وجود خارجي في هذا العالم: «أنتِ الهَوَاجِسُ وَالنَّبِيُّوَةُ وَتَحَقُّقُهَا / فَكَيْفَ نَبْرُكُكِ وَحَدَكِ فِي الْعَمَلِ / نَنْصَرِفُ إِلَى عِنَاقِ الطَّوِاطِمِ / وَاعْتِنَاقِ الْأَوْهَامِ / وَنَأْتِي حَيَارَى كُلِّ مَسَاءٍ / بِأَنَّا لَا نُحَارِبُ سِوَى عَنقَاءٍ» (ابوخالد، ٢٠١٤م: ١١٨)

تجد هذه الأسطورة صورة وطبيعة جديدة في شعر أبي خالد وتخدم الغرض الاجتماعي والنقدي للشاعر، وقد تعود أبو خالد صياغة هذه الأسطورة وفقاً للوضع الاجتماعي لبلدها، وتبتكر مفهوماً جديداً يتماشى مع المستوى والأسلوب الفكري لجمهور العصر الحاضر. بهذه الصورة المختلفة لعنقاء، تسلط الضوء على مدى الثقافة التقليدية والأبوية وتصور أسلوب حياة مليئاً بالقيود والضييق والضغط الذي تتحمله المرأة السعودية ولا يحق لها الاختيار.

القضايا السياسية وأوضاع العالم العربي وتأثير وهيمنة الاستعمار عليه والحروب الأهلية للدول العربية من بين الموضوعات التي ينعكس عليها شعره وهذا دليل على توجهه المتعصب تجاه العرق العربي. وتشير إلى حالة الفوضى التي يعيشها العراق وتصف القتل والنهب وعدوان الأجانب في هذا البلد العربي، ولكن لتصوير هذه الفوضى بشكل أفضل تستعين بإحدى الأساطير القديمة، التي ترتبط إلى حد ما بالثقافة والتاريخ القديم للعراق. شهرزاد وحكايات ألف ليلة وليلة تحظى بشعبية كبيرة بين العراقيين، وفي السرد الرئيسي لهذه الأسطورة، تحمي شهرزاد نفسها من غضب واستياء الملك بالحكمة والذكاء وبالسرد الحلو والساحر لقصص ألف ليلة وليلة وتبهر وتجذب

نهاية القصة الملك وبهذه الطريقة تصبح رمزاً يبذل الكثير من الجهد والمثابرة مدى الحياة وتعتبر رمزاً للخلود. تعيد أبوخالد خلق أسطورة المقاومة هذه وفقاً للظروف السياسية والاجتماعية للعهد الراهن في العراق، وترى فيها شخصاً عاجزاً لا حول له ولا قوة يقتل على يد أعداء قساة القلب مثل الجيش النازي الذي لا يرحم، ولن تبقى علامة من مهابتها وقوتها عند الملك: «عُدوانٌ يَسْتَجْمَعُ عَاقِبَتَهُ مِنْ مُخَازِيِ التَّارِيخِ / يَمْنَعُ التَّجَوَّالَ / يَهْدِي الأَطْفَالَ مَوْتاً رَوْوْماً فِي عِيدِ الأُمِّ / يَسْعَى لِتَصْفِيَةِ أُنْشُودَةِ المَطَرِ رَمِيّاً بِالرِّصَاصِ / يَتَلَذَّذُ بِقَتْلِ شَهْرزَادَ فِي غُرْفِ الغَازِ» (المصدر نفسه: ٥٩٥)

تخلق الشاعرة مفهوماً جديداً لهذه الأسطورة بإبداعها ووفقاً للأجواء السياسية الفوضوية في العراق، وتعتبر مصير شهرزاد مثل الفتيات اللواتي قتلهن الملك قبلها. من خلال القيام بذلك، توضح أن الأساطير عبر التاريخ، وفقاً للظروف السياسية والاجتماعية والأيدولوجية والجغرافية لثقافة أو بلد ما، يمكن أن تجد ماهية جديدة وأن تأخذ على العديد من الأدوار. في هذه القصيدة، شهرزاد هي استعارة لمعاناة شعب وأمة العراق الذي يتعرض للتعذيب في براثن العدو دون أى مساعد ووتأتى عليه مصائب جمّة ومتعاقبة.

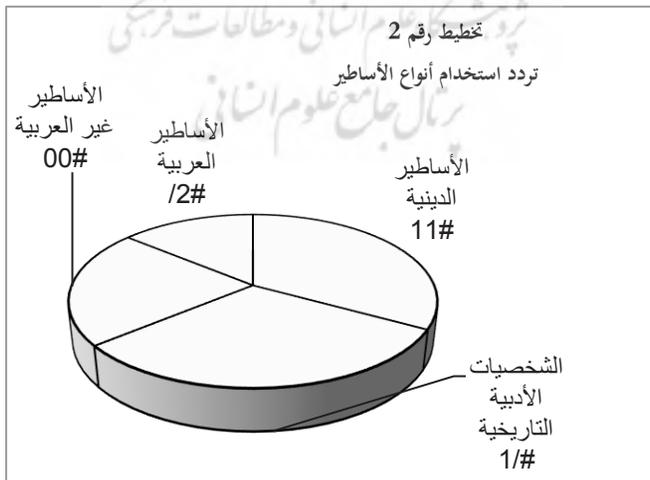
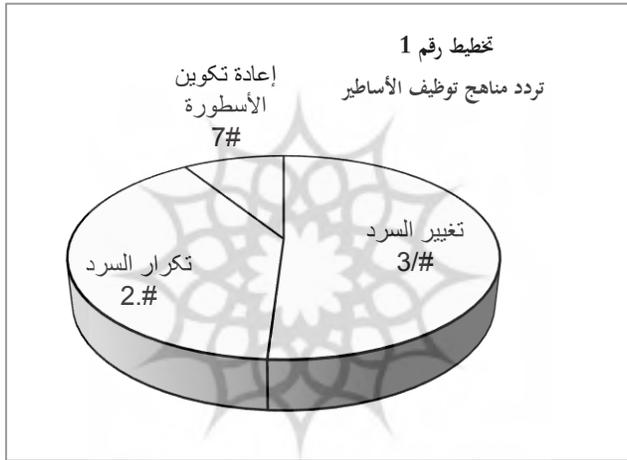
النتيجة

من خلال دراسة قصائد أبوخالد، تم الحصول على النتائج التالية:

١. استخدمت أبوخالد ثلاثة مناهج: تكرار السرد (٤٠ بالمائة)، وتغيير السرد (٥١ بالمائة) وإعادة تكوين الأسطورة (٩ بالمائة) لإضفاء الطابع الأسطوري على شعرها. لقد أولت اهتماماً أقل لإعادة التكوين.
٢. في تكرار السرد، تتصرف في ثلاثة أنماط فرعية وفي بعض الآيات إما تذكر اسم شخصية أسطورية أو تكرر جزءاً من جوهر الأسطورة مع اسم الأسطورة دون تغيير. في بعض الحالات، باستخدام الأساليب الأدبية، وخاصة التشبيه، تقييم علاقة مماثلة بين موضوعها الشعري والسرد الرئيسي للأسطورة وتعطيها جانباً فنياً بحيث لا يكون ذكر أسماء هذه الأساطير بلا معنى ودون طائل. في

- بعض الأحيان، دون ذكر اسم الشخصية الأسطورية، تشير فقط إلى القصة المتعلقة بالشخصية الأسطورية بطريقة تلميحية.
٣. في طريقة تغيير السرد، تم استخدام أربعة طرق واستراتيجيات. في الجزء الأول، تقوم فقط بإجراء تغييرات في مقارنة وماهية الأسطورة وتعطيها تأثيراً مختلفاً وفقاً لظروف العصر الحالي. في الجزء الثاني، تغير سبب تكوين سرد الأساطير. في الجزء الثالث، تخلق صورة جديدة للأسطورة وفقاً لرؤيتها للعالم وإطارها الفكرى. في الجزء الرابع، من خلال الجمع بين الماضى والحاضر، تربط الشخصيات الأسطورية بنفسها أو مع الشخصيات المعاصرة.
٤. في طريقة إعادة تكوين الأسطورة، ابتكرت أبو خالد ماهية جديدة ومتناقضة للأسطورة من خلال تخصيص سرد جديد ومعاكس للعقلية المشتركة للناس وتساعد على إعادة إنتاج هذه الأسطورة وتكاثرها فى الوقت الحاضر وهى تقبل دوراً جديداً.
٥. تستخدم أبو خالد أربعة أنواع من الأساطير فى شعرها. المجموعة الأولى من الأساطير غير العربية المرتبطة بالثقافة القديمة لإيران واليونان ومصر وسومر وآشور (٢٢٪). المجموعة الثانية هى الأساطير الدينية التى تتعلق بكل من ما قبل الإسلام وما بعد الإسلام (٣٣٪). المجموعة الثالثة هى الأساطير والشخصيات الأدبية التاريخية، ومعظمهم من الشعراء والمشاهير من عشاق الأدب العربى القديم (٣١٪). الفئة الرابعة تشمل الأساطير العربية بعد الإسلام وما قبله بنسبة (١٤٪). الأساطير الدينية هى الأكثر انعكاساً فى شعرها.
٦. تستخدم أبو خالد الأساطير لتصوير القضايا الاجتماعية والسياسية، لا سيما قضية المرأة، والوضع الفوضوى للدول العربية، والآثار السلبية للاستعمار على الدول المتخلفة، وفى بعض الحالات، تستخدم هذه الأساطير للتعبير عن المشاعر الفردية، بما فى ذلك الحب والحزن.
٧. باستخدام هذه الأساطير، تعطى لونا قديماً على شعرها وتضفى إلى لغتها وكلماتها الشعرية فخامة مضاعفة وتبتكر تعبيرات وتركيبات غير مألوفة تميز أسلوبها

فى التعبير. تنتج أبوخالد من خلال الجمع الفنى بين الأساطير المتعلقة بالعصور القديمة والمواضيع الشعرية الجديدة والشخصيات السياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية الجديدة، تركيبات دلالية ولفظية جديدة وتضفى على شعرها صفة متعددة الألحان وتؤخر إدراك معنى تعبيرات شعرها وتضع القارئ بين الماضى والحاضر لفهم التشابه بين الأساطير القديمة وشخصيات العصر الحالى فى نص شعرها، وبهذه الطريقة تفصل شعرها عن الشعر القديم والتعبير الصريح للمفاهيم وتلائمه مع متطلبات العصر الجديد ومشاعر جمهورها.



المصادر والمراجع

العربية

- استروس، لوى. (١٣٧٧م). جهان اسطوره‌شناسی. ترجمه: جلال ستاری. ج ١. تهران: مركز. امامی، نصرالله (١٣٨٥م)، مبانی و روش‌های نقد ادبی. ج ٣. تهران: جامی.
- ابوخالد، فوزية (٢٠١٤م)، الأعمال الشعرية، الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ألف ليلة وليلة (لاتا). راجعه سعيد جودة السحار. القاهرة: مكتبة مصر.
- إلياد، ميرسا. (١٩٩١م). مظاهر الأسطورة. ترجمة نهاد خياطة. دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر.
- پيروز، غلامرضا و هدى كجورى. (١٣٩٧ش). «بررسی رویکردهای اسطوره‌پردازی در غزلیات حسین منزوی با تکیه بر اندیشه رمانتیک». پژوهش‌نامه مکتب‌های ادبی. سال ٢. شماره ٣. صص ١٣٠-١٥٨. -پورنامداریان، تقی. (١٣٨١ش). سفر در مه. تهران: نگاه.
- ثروتیان، بهروز (١٣٥٢ش). فرهنگ اصطلاحات و تعریفات نفایس الفنون. تبریز: مؤسسه تاریخ و فرهنگ ایران.
- جیده، عبدالحمید. (١٩٨٠م). الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر. ط ١. بيروت: مؤسسة نوفل.
- حرب، طلال. (١٩٩٩م). معجم أعلام الأساطير والحرفات في المعتقدات القديمة. بيروت: دار الكتب العلمية.
- حسنلی، کاووس. (١٣٨٣ش). گونه‌های نوآوری در شعر معاصر ایران. ج ١. تهران: ثالث.
- داود، انس. (دون التاريخ). الأسطورة في الشعر العربي الحديث. مصر: مكتبة عين شمس.
- رجایی، نجمه. (١٣٨١ش). اسطوره‌های رهایی. مشهد: دانشگاه فردوسی مشهد.
- زکی، أحمد کمال. (١٩٧٥م). الأساطير، دراسة حضارية مقارنة. القاهرة: مكتبة الشباب.
- زمردی، حمیرا. (٢٠١٣م). «مفهوم أسطورة سبزیف في الشعر المعاصر العراقي والإيراني - دراسة لقصيدة "رسالة من مقبرة" بدر شاکر السیاب وشعر "کتیبه" مهدی اخوان ثالث». مجلة آداب ذی قار. العدد ١٠. صص ٢٦٧-٢٧٥.
- ستاری، جلال. (١٣٨٤ش). هزار و یک شب و افسانه شهرزاد (کوششی برای دریافت یک قصه از لحاظ روان‌شناسی). ج ١. تهران: بامداد.
- سرکاراتی، بهمین. (١٣٧٨ش). سایه‌های شکار شده. ج ١. تهران: قطره.
- السواح، فراس. (٢٠٠١م). الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية. ط ٢. دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة.
- سیفی، محسن و صدیقه جعفری نژاد. (١٣٩٥ش). «سیمای زن از دیدگاه فوزیه ابو خالد شاعر

- معاصر عربی». فصلنامه زن و فرهنگ، سال ۷. شماره ۲۸. صص ۲۱-۸
شمیسا، سیروس. (۱۳۸۹ش). انواع ادبی. ج ۴. تهران: میترا.
- عبود، حنا. (۱۹۹۹م). النظرية الأدبية والنقد الأسطوري. لامک: من منشورات اتحاد الكتاب العرب.
عید، رجاء. (۲۰۰۳م). لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي المعاصر. الإسكندرية: منشأة المعارف.
کندی، مایک دیکسون. (۱۳۸۵ش). دانشنامه اساطیر یونان و روم. ترجمه رقیه بهزادی. تهران:
طهوری.
- کهنمویی پور، ژاله. (۱۳۸۳ش). اسطوره در عصر نو، اسطوره و ادبیات (مجموعه مقالات). تهران:
سمت.
- مجلی، عبدالناصر. (۲۰۰۵م). انطولوجیا الأدب السعودی الجدید: معطی حدائی عالی الصوت فی
فضاء منسی: (شعر، قصة، رواية، شهادات، حوارات). بیروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
مؤذنی، علی محمد ویعقوب پارسسی. (۱۳۸۲ش). «حماسه گیلگمش و روایت‌های مختلف». نشریه
دانشکده ادبیات و علوم انسانی. دانشگاه تهران. دوره ۵۳. شماره ۱۶۷-۱۶۶. صص ۱۸۶-۱۶۹
المیدانسی، محمد بن أحمد بن إبراهيم. (لاتا). مجمع الأمثال. تعلیق نعیم زررور. لامک: دار الکتب
العلمیه.
- یا حقی، محمد جعفر. (۱۳۷۵ش). فرهنگ اساطیر و اشارات داستانی در ادبیات فارسی. ج ۲. تهران:
سروش.